دروس عبر الخط: التاريخ: 2021/01/13

المقياس: التحليل النفسي للأدب. **الأستاذ:** فريد زغلامي.

الجمهور المستهدف: السنة الثالثة ليسانس تخصص: نقد ومناهج

المحاضرة الخامسة: النقد الأدبي وعلم النفس.

1) موقف النقد الأدبي من علم النفس

انقسم النقاد ازاء علاقة النقد الأدبي بعلم النفس إلى قسمين، حيث أكد الفريق الأول على أن النقد نفسي خالص؛ للارتباط بين الفن والنفس من جهة، والنقد والنفس من جهة ثانية، محددا بعض معطيات النقد النفسي بالكشف عن عملية الإبداع الفني، وجعل النقد نقدا علميا، وتفسير الأحداث الواضحة والغامضة في النص الشعري أو النثري؛ لإضاءة الطريق للقراء الذين لا يفهمون الأدب الرمزي، بل ومساعدة الشعراء أنفسهم في كثرة استعمالهم للصور، وفي ذلك يقول عز الدين إسماعيل في كتابه "التفسير النفسي للأدب":" إن موقف بعض النقاد العدائي من نتائج علم النفس التحليلي، وعلم النفس بصفة عامة لا مبرر له؛ لأننا في الوقت الذي استطعنا فيه أن نفسر عناصر العمل الشعري، ونحلله كنّا قد مهّدنا السبيل للحكم على القيمة الفنية لهذا الشعر حكما دقيقا تسنده المعرفة، لا مجرد حكم ذوقي متميع".

أما القسم الثاني فقد بيّن أنه على الرغم من أن الأدب قد استفاد من علم النفس في تشريح نفسية الأديب، وتفسير جوانب حياته، وبعض ظواهر شعره إلا أن علم النفس لم يستطع أن يفسر جمال الأثر الفني؛ لأن نظرة "سيغموند فرويد" في رأيهم تبعدنا كثيرا عن الدراسة النفسية للعمل الأدبي، وتوجهنا إلى تصنيف نفسي للشاعر ذاته. من هنا يكمن خطر هذه الدراسات، إن استبدت بالنص الأدبي في رأي نقاد هذا الفريق، في أن تجعلنا ننسى أن تقويم العمل الأدبي من الناحية الفنية هو وظيفة النقد الأدبي، حين نندفع في تطبيقات نظريات علم النفس أو تحليلات مبنية على تلك النظريات. عندئذ تستوي في تلك التحليلات دلالة النص

الجيّد، ودلالة النص الرديء في رأي الناقدة "مسز لانغر" التي أشارت إلى أن الضعف الشديد في نظرية "فرويد" حين تطبق على الشعريات يكمن في أنها تميل إلى أن:" تضع الفن الجيد والرديء في كفة واحدة، جاعلة الفن كله يقوم بوظيفة التعبير الطبيعي عن النفس مثل الحلم وتكوين الاعتقاد".

ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل إن الدراسات المستفيدة من علم النفس في رأيهم، نظرية محضة؛ لأنها لم تحاول أن تلج إلى النص، فتبين ما فيه من إبداع، وما فيه من إشراقة الجمال التي تحبب الفن إلى النفوس، والتي هي سر خلود الفن ومصدر تأثيره؛ ولأنها تبعدنا عن الدراسة النفسية للعمل الأدبي، وتضعنا وجها لوجه أمام المزاج النفسي للشاعر ذاته.

إن المدرسة الفرويدية تعاني مظاهر القصور وسوء الاستعمال التي تعانيها بقية مدارس النقد السياقي؛ لأنها نظرية في علم النفس، لا نظرية جمالية، وهي مهيأة على أفضل نحو لمعالجة عناصر العمل الفني ذات الدلالة النفسية؛ لذلك تؤكد هذه المدرسة الموضوع والرمز والفكرة، وكل عناصر العمل التي ترتبط بحوادث نفسية خارج الفن، والتي يمكن معالجتها بمفاهيم علم النفس، وهي في الوقت نفسه غير مهيأة نسبيا لمعالجة الشكل والوسط المادي والأسلوب والتقنيات الفنية، وهي كلها عناصر ينفرد بها مجال الفن، من هنا يجب على الناقد النفسي، في نظر هؤلاء النقاد، أن يحترم الدلالة الباطنة للفن، وعليه في الوقت نفسه ألا يرتكب خطأ الانقياد لاهتماماته النفسية إلى حد إغماض عينية عن المزايا الجمالية للعمل الأدبي.

بعد عرض آراء الفريقين نخلص إلى القول: على الرغم من أن التحليل النفسي يعتمد على التفسير النفسي للظاهرة الأدبية، فيقودنا إلى اللاوعي الفردي للمبدع؛ أي أنه يقودنا خارج العمل الأدبي منذ اللحظة الأولى؛ لأنه لا يتوقف عند العمل الأدبي ليكتشف بنيته الداخلية باكتشاف علاقات تلاحمها، ولأنه يعزل هذا العمل عن وظيفته الاجتماعية، وهذا كله إلغاء لأدبية الأدب من ناحية، وتقليص لوظيفته من ناحية ثانية، وعدم التمييز بينه وبين المجنون من ناحية ثالثة. إلا أننا لا نستطيع أن نغفل الدور المهم للاتجاه النفسي في دراسة الظاهرة الأدبية؛

لأنه ينير زاوية من زوايا العمل الأدبي، وفي ذلك يقول عز الدين إسماعيل:" إننا لا ندّعي بأن الأدب أو الفن يمكن تفسيره من جميع جوانبه في ضوء علم النفس، وإنما نستطيع بسهولة أن ندّعي أن علم النفس قادر على أن يفسر لنا بعض الجوانب التي ظلت غامضة في الماضي".

2) أغراض الدراسة النقدية النفسية للأدب:

1- تارة تحلل أثرا معينا من الآثار الأدبية؛ لتستخرج من هذا التحليل بعض المعلومات عن سيكولوجية المؤلف.

2-تارة تتناول جملة آثار المؤلف وتستخرج منها نتائج عامة عن حالته النفسية، ثم تطبق هذه النتائج العامة في توضيح آثار بعينها من آثاره.

3- تتناول سيرة كاتب من الكتاب على نحو ما تظهر في أحداث حياته الخارجية وفي أمور أخرى كرسائله أو اعترافاته أو يومياته الشخصية، ثم تبنى من هذا كله نظرية في شخصية الكاتب: صراعاته، حرماناته، صدماته، عصاباته؛ لتستعمل هذه النظرية في توضيح كل مؤلف من مؤلفاته.

4- وهي تارة أخرى تنتقل من حياة المؤلف إلى آثاره ومن آثاره إلى حياته، موضحة هذه بتلك وتلك بهذه، ملاحظة في حياته بعض الأزمات المنعكسة في آثاره، وملاحظة من طريقة انعكاس هذه الأزمات في آثاره ماذا كان معناها الحقيقي في سيرة حياته.

3) أهم الانتقادات التي وجهت للدراسة النفسية للآثار الأدبية:

- الاهتمام بصاحب النص على حساب النص ذاته، على الرغم من أن النص هو الموضوع الأساسي للنقد الأدبي.
- الربط بين النص وصاحبه مع الاهتمام المبالغ فيه بمنطقة اللاوعي.
- التسوية بين النصوص الرديئة والجيدة في الدراسة، وربما تفضي الأولى على الثانية أحيانا حين تكون أكثر تمثيلا للفرضيات النفسية.
- الإفراط في التفسير الجنسي للرموز الفنية.
- الاهتمام بالمضمون النفسي للنص (السلوكات والعقد) على حساب الشكل الفني.

- التعسف في فرض بعض التأويلات النفسانية على النصوص(وإن كانت تأباها) بغية تأكيد فرضية نفسية مسبقة.

مراجع المحاضرة:

1) لطيفة إبراهيم برهم، دراسات في نقد النقد، دار الينابيع، دمشق، سوريا، ط1،2009.
2) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان، د. ط، د. ت.
3) ماهر حسن فهمي، المذاهب النقدية الحديثة، دار النهضة المصرية الحديثة، القاهرة، مصر، د.ط، 1962.
4) ستانلي هايمن، النقد الأدبي ومدارسه الحديثة، تر(إحسان عباس، محمد يوسف نجم)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د.ط، د.ت، ج1.
5) جيروم ستولينتز، النقد الفني: دراسة جمالية وفلسفية، تر(فؤاد زكريا)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط2، 1981.
6) سامي الدروبي، علم النفس والأدب، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1981.
7) يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2007.